نـافـذة

رسالة إلى العقل

تعد نظرية العقل من القضايا الفلسفية، التي ما تزال موضع إشكال وتساؤل حتى في الفلسفة المعاصرة... وتعود في أصولها ودلالاتها إلى أرسطو الذي ميّز بين نوعين من العقل، هما، العقل العملي، والعقل النظري... العقل العملي، يخضع للإرادة في استنباط ما ينبغي أنْ يفعل أو يترك، ومن ميزات هذا العقل أنه قابل للنمو والتطور والزيادة، كلما طال به أمر الممارسة، وقد قدم شرّاح النظرية الأرسطيّة تسميات عديدة حوله، مثل: عقل القوة، العقل الممكن، العقل الهيولاني، العقل المادي، أو العقل السلبي، أو العقل المنفعل، وهو عبارة عن استعداد أو قابلية تلقي المقولات، فالعقل بالقوة، أشبه بالمادة في استعدادها وقابليتها تلقي الصور، وبعدها تحويل الصور الحسيّة إلى مفاهيم مجردة، وتعقل العقل لنفسه من حيث هو عاقل لمعقولاته.

لقد أثار أرسطو في نظريته عن العقل اهتمام الفلاسفة، ودار حول مقولاته الجدل والنقاش عند كثير من العلماء والفلاسفة في العصرين الهلّينستي والوسيط، وكان للعرب نصيب كبير من هذا النقاش والجدل، وخاصة عند ابن سينا والفارابي وابن رشد، وقد أفرد لها نصر الدين الفارابي، رسالة خاصة بعنوان: «رسالة إلى العقل» فضلاً عن مواضيع متفرقة وردت في ثنايا مؤلفاته مثل: «آراء أهل المدينة الفاضلة» و«كتاب السياسة المدنية» و«التنبيه على سبيل السعادة» وكتاب «تحصيل السعادة»... وتنسحب لفظة «عقل» عند الفارابي، على معان عدة، فهي الشيء الذي به يقول الجمهور في الإنسان إنه عاقل، وهي الذي يردده المتكلمون على ألسنتهم فيقولون: هذا مما يوجبه العقل، وينفيه العقل... والعاقل، من كان فاضلاً وجيه الرؤية في استنباط ما ينبغي أن يؤثر من خير أو يتجنب من شر.

في «رسالة إلى العقل» ترى أن العقل عند الفارابي، يقال على أربعة أنحاء هي: «عقل بالقوة، وعقل بالعقل، وعقل مستفاد، والعقل الفعال» وتمثل العقول الثلاثة الأولى، القوة الناطقة، في العقل الإنساني، أما العقل الفعال فهو عقل كوني خارج النفس الإنسانية.

إن العقول الثلاثة عند الفارابي، هي قوى عقلية اعتبارية متفاضلة تتدرج أو تتوالى من الأدنى إلى الأعلى، أو لنقل من الأنقص إلى الأكمل، لكونها غير كافية وحدها في تحصيل المعرفة الحقيقية، ولذلك يرى الفارابي ضرورة افتراض وجود عقل آخر أعلى يُخرج العقل الإنساني، من القوة إلى العقل، وهذا هو العقل الفعال، الذي خصّه الفارابي بوظيفة معرفية، لأن العقل الإنساني في نظره يفيض عليه العقل الفعال، الذي يحقق للإنسان درجة السعادة والكمال، وذلك بإعطائه المعاني الكلّية العلمية والخلقية والميتافيزيقية... لقد أدخل الفارابي العقل الفعال ليبني عليه بناء فكرياً فلسفياً وعقائدياً دينياً، يقوم في أساسه على العقل الفعال.

العقل الفعال عند الفارابي، ليس يفعل دائماً، بل يفعل حيناً، ولا يفعل حيناً آخر... لقد خصّه الفارابي بوظيفة التحريك والتدبير، وعدّه المدبر لعالم ما تحت القمر، والأمر يستلزم أن يكون دائم الفاعلية، لأنه المسؤول عن تحقيق ظاهرتي الكون والفساد، ولذلك يسميه الفارابي «واهب الصور للموجودات الحسية» فما دام العالم الطبيعي في تغيّر وحركة مستمرين وانتقال من الموجود بالقوة إلى الموجود بالفعل... فيجب أن تكون فاعلية العقل الفعال مستمرة دوماً بلا انقطاع ولا توقف ولا تراخٍ، حتى يصل بالإنسان إلى السعادة القصوى... لقد نظر الفارابي إلى العقل الفعال بوصفه جوهراً روحانياً... ومهمته البلوغ بالإنسان مرتبة السعادة حتى يوصله إلى أعلى درجات الكمال بطريقة حدسية صوفية، دون أن يؤدي هذا المنزع الصوفي إلى حتمية الاتحاد بين العقل البشري والعقل الفعال.

د. علي القيم

الهويّةُ العربيّةُ صراعٌ فكريٌ وأزمةُ واقعٍ
دراسة في الفكر العربي المعاصر

عبد الرحمن الكواكبي

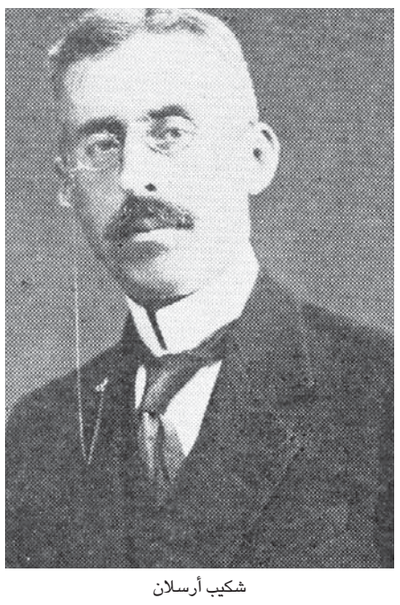
شكيب أرسلان

جمال الدين الأفغاني

عامر فؤاد عامر

«تعرّف الهويّة أنها مجموعة من الخصائص التاريخيّة واللغويّة والنفسيّة التي تفصل بين جماعة وأخرى؛ الأمر الذي يجعلها تخرج من إطار الثبات، فهي نتاج حركة متعاقبة لجملة من الشروط التي تفرض على كل مرحلة مجموعة من التحولات النوعيّة في المجتمعات البشريّة، وتؤدي إلى حدوث نوع من عدم التوازن والاستقرار بين القديم الموروث والجديد الذي يسعى لتعيين وجوده، ولكي نعي هذا التغير والتطور لا بد من وعي الخلفيّة التاريخيّة التي ولدت هذا التغير، والعوامل التي أسهمت في حدوثه». هذا مما جاء في مقدمة ومدخل كتاب الهويّة العربيّة صراع فكري وأزمة واقع لمؤلفه د. «عهد كمال شلغين». وكان ذلك تحديداً للمفهوم النظري للهويّة، والتمعن في الدلالة الفلسفيّة واللغوية، وتحديد الشروط التاريخيّة التي نشأ فيها ومن خلالها سؤال الهويّة وتحليلها.

الشرط التاريخي العربي لظهور سؤال الهويّة

في جملة الشروط التي ولدت سؤال الهويّة اليوم يعرض الكتاب لعودة زمنيّة لولادة هذا الشرط، فقد شهد العالم مع بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر مجموعة من الأحداث على الصعيد الاقتصادي والثقافي والسياسي والاجتماعي والعسكري أثرت في حركة التاريخ العربي فالوطن العربي كان مسرحاً لكثير من الأحداث والاضطرابات. ترافق ذلك مع ضعف الحكم العثماني آنذاك وانبثاق مفاهيم نهضويّة على أيدي مصلحين مثل: «عبد الرحمن الكواكبي، وجمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ومحمد رشيد رضا، وبطرس البستاني، وإبراهيم اليازجي، وجرجي زيدان، وقاسم أمين، ورفيق العظم، وشكيب أرسلان، وأحمد لطفي السيد، ومعروف الرصافي، وشبلي شميل، وفرح أنطون، وسلامة موسى». وفي أوج ذلك ظهر ما يسمى الفكر القومي ضمن الدولة العثمانيّة ذاتها.

العرب ومسألة الانتماء

وقد قُسّم هذا الكتاب إلى ثلاثة فصول وقفت عند سؤال الهويّة العربيّة ومناقشته في ضوء الواقع العربي المعاصر؛ من خلال البحث في مجموعة من التساؤلات، ففي الفصل الأول الذي حمل عنوان «العرب ومسألة الانتماء» تمّ تحديد الانتماء كمفهوم والتمييز بينه وبين الولاء، وتوضيح كيف تتجلى مشاعر الانتماء لدى العرب، وتبيان صور وعي الانتماء في الواقع العربي المتعين أو الحادث فعلاً، ومقومات تعيّن الهويّة في الواقع العربي كاللغة والدين والدولة، وتمّ البحث في مجموعة من الانتماءات المتعددة عند العرب بين ما هو واقعي وما هو نظري لديهم، وتحديد الثابت والمتغير في الهويّة العربيّة.

بين مفهومي الانتماء والولاء

الانتماء يعكس معنى الكليّة ويحوي في إطارها جميع الهويّات، الرئيسة والثانويّة من هويّات طبقيّة وقبليّة وعشائريّة ومناطقيّة إلى مذهبيّة ودينيّة إلى آخره ومن دون استثناء. في حين الولاء يعكس الدلالة الفرديّة المباشرة لحقيقة وجود الناس في إطار حريّة اختيارهم وفقاً لمصالحهم الحياتيّة، ولاتجاهاتهم وميولهم في الفكر والسياسة.

الهويّة والأيديولوجيّة

الفصل الثاني وعنوانه «الهويّة والأيديولوجية» وتمّ فيه تحليل بعض الخطابات العربيّة المعاصرة اعتماداً على تجلي صور الهويّة في الوعي العربي ضمن ثلاثة محاور رئيسة: الأول الإسلام السياسي «الدين والهويّة»: تحليل لبداية مظاهر الوعي الديني كخطاب أيديولوجي في واقعنا، وكيف تعيّن هذا الوعي عبر مجموعة من التيارات الدينيّة المختلفة في شكل الخطاب رغم التشابه في مضمونها. والثاني الفكر القومي وقضيّة الأمّة والهويّة: وفيه أهم الشروط التي ولّدت الفكر القومي، والمراحل والمحطات التي مرّ بها وكيف ظهر خطاب الهويّة في الأيديولوجية القوميّة. والثالث هو الخطاب الأيديولوجي الإقليمي والهويّة: من خلال البحث في حضور الأيديولوجية القطريّة في الوطن العربي، ومدى أثرها في الواقع المعيش وما ينتج عن هذا الخطاب من أزمات وتزييف للهويّة واصطناع هويّات ضيّقة ومؤقتة.

بداية مظاهر الإسلام السياسي في الواقع العربي المعاصر

مع بداية النصف الثاني من القرن ١٨ بدأت تظهر وترتفع أصوات المطالبين بفصل الأمة العربية عن الدولة العثمانية، وتحقيق الاستقلال عنها لتشكيل بدايات الوعي لإبراز هويّة عربيّة مميزة. ومن التيارات الأبرز كان تيار رفع لواء الدين لبناء دولة عربية إسلاميّة متمثلة بالعودة إلى الإسلام الأول ورفض الانحرافات والرواسب البالية. فيما بعد ظهرت فكرة الجامعة الإسلاميّة كهويّة جامعة للمسلمين لكنها اتخذت من تركيزها على السلفيّة الدينيّة طريقاً. وعند هذه النقطة التقت فكرة العروبة بالإسلام أي أسلمة الدولة العربية والتي لم تتحقق بعد.

مستقبل الهويّة في الوطن العربي

في الفصل الثالث الذي حمل عنوان «مستقبل الهويّة في الوطن العربي» ناقش مصير هذه الهويّة في ظل التغيرات سواء الإقليمية أم العالميّة وأثرها في تشكل وعي هوياتي جديد ومدى تأثر العولمة في الهويّة العربية، والأسس التي يمكن أن تبنى عليها الهويّة العربية مستقبلاً.

العرب والعولمة والهويّة

انتهى عصر الاستعمار المباشر في القرن العشرين لتبدأ معه أشكال جديدة من الاستعمار تحت مسميات ومفاهيم مختلفة، مثل مناطق النفوذ والتحالفات العسكريّة والاقتصادية والشركات العابرة للقارات أو المتعددة الجنسيّات، وبما يسمى اقتصاد السوق، وتشكل التحالفات الدوليّة؛ مثل مجموعتي السبع والثماني ومجلس الأمن ودول الأعضاء الدائمين والعالم ذي القطب الواحد، والكوننة، والعالم قرية صغيرة، كل هذه التعابير تنضوي تحت ما يسمى اليوم العولمة وهي قياساً على ما بعد الحداثة هي ما بعد الرأسماليّة أو الرأسماليّة القصوى، هي ما بعد السياسة، هي ما بعد الثقافة، هي ما بعد الدولة والأمّة، هي ما بعد الدين واللغة والهويّة، هي مشروع لإعادة صياغة العالم بعيداً عن المكونات السابقة، هي مشروع مفتوح.

في المصلحة والهويّة

عجز العرب في ظل العولمة عن تأسيس وعي بهويّة مشتركة على مستوى الخطاب القومي والديني والقطري والإقليمي ولو نظرنا للوضع العربي المعاصر لوجدنا أن العرب تجمعهم مجموعة شروط تؤلف خطاباً مشتركاً في المصلحة، كمسألة الغذاء والأمن الغذائي، وأزمة المياه والنفط والمصير المشترك والإرث الثقافي المتقارب والحضارات والجغرافيا واللغة وغيرها من الشروط التي تحث العرب وتنير وعيهم بضرورة العمل على تأسيس خطاب مشترك في الهويّة والمصلحة.

خاتمة وخلاصة

يتبين اليوم أن العرب يعيشون أزمة في انتمائهم لهويّة مشتركة، فهي حاضرة في وعينا وسلوكنا، فلا هويّة كليّة يؤسس عليها الخطاب، فالعرب لم يصلوا حتى اليوم إلى هويّة كليّة منتصرة على باقي الهويّات. وكثرة الانتماءات غالباً ما تتحول إلى أداة للصراع مع الآخر حتى إنها تصل إلى ذريعة للقتل، كما يحدث اليوم، ما يوسع دائرة الخلاف بين العرب أنفسهم، فكل منهم يحاول تأسيس خطابه بناءً على مبادئ وأفكار خاصة به لا يشترك بها مع غيره. ويقع اللوم هنا على الخطاب القومي الذي ترك فراغاً مع مرور الوقت للخطاب الديني ولاسيما الخطاب الديني المتشدد. والذي اعتمده الإسلام السياسي الذي بنى نظرته للواقع من مبدأ أساسه أن ما في العرب اليوم من تخلف وسوء، إنما هو راجع لابتعادهم عن المنبع الأصيل للدين، مستنداً للعودة للأصول مع ملاحظة تعدد شكل الخطاب الديني من أصولي متشدد إلى إصلاحي إلى معتدل، لكن كلها متفاوتة في الخبرة والنضج ونظرتها للواقع والسلوك، ، كما أن أفكارهم جميعها مبنيّة على أمجاد الماضي وتبرير الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بالاعتماد على صورة غيبيّة.

إن الهويّة العربية هويّة حقيقيّة وليست زائفة، والمشكلة تكمن أن هذه الهويّة معرضة للخطر، والغزو الحقيقي اليوم هو غزو ثقافي، واستمرار الهويات الإيديولوجية الضيقة اليوم ليس مرده غياب الدولة الأمة فقط بل لعملية ممنهجة خارجيّة للحفاظ على الصراع الداخلي العربي، بالتالي عدم الانتصار لهوية جامعة، ففكرة الدولة الأمة الجامعة لكل الحيثيات هي الحل الأمثل للعرب.

كرنفال «عبق الياسمين»... نحارب الإرهاب بالسلام ونبني الوطن لأجلنا
«نسور سورية» و«أم الشهيد» في حبّ الوطن والتمسك بترابه

الوطن

كرنفال «عبق الياسمين» هو طقسٌ سنوي يقيمه فريق نسور سورية التطوعي، وفي هذه السنة يصادف موعد الدورة الخامسة منه من قلعة دمشق الأثريّة، تأكيداً على ارتباط الشباب السوري المحبّ لوطنه والمثقف وعلى التزامه ببناء الوطن والتعبير عنه بما يستحق من لغة تقدير، واحترام، وتقديس.

تنوّع النشاطات

والكرنفال تحت رعاية وزارتي السياحة، والثقافة، بالاشتراك مع مجموعة «أمّ الشهيد»، أقيمت فيه مجموعة من النشاطات، ستمتد على مدار ٣ أيام متتالية هي ٩ و١٠ و١١ أيلول، مؤلفة من بازار خيري لأمّهات الشهداء، وذوي الاحتياجات الخاصة، وسيدات، وربّات البيوت، قدّمن منتجات صنعنها في بيوتهن، وريع البازار عائد على أسر شهداء الوطن مدنيين، وعسكريين، وفي اليوم الثالث ١١ أيلول سيقام حفل فني ضخم، وهو تعبير عن إرادة الحياة لدى الشعب السوري، والتمسك بالأرض على الرغم من الهجمات المتكررة، لإبعاد الشباب عن أرضه، فما زال في دمشق الكثير من الرموز التي ستصل بالصوت السوري كتعبير عن هذه الإرادة، وسيتم تكريم الفنان «رفيق سبيعي» والفنانة «ميادة بسيليس» والفنان «أيمن رضا» والفنانة «شكران مرتجى»، بحضور مجموعة من أجمل أصوات سورية، والفرقة الشركسيّة السوريّة، ومعرض لصور فوتوغرافيّة لمجموعة من الفنانين سيقدمون صورهم التي جمعوها من كلّ أنحاء سوريّة.

عبق خامس للكرنفال

التقينا مدير فريق نسور سورية التطوعي «عامر أبو حامد» الذي قدّم لنا صورة واضحة عن نشاط الكرنفال والغاية منه. أمّا عن الفرق بين الدورة الحاليّة والدورات السابقة فيقول: «لكلّ دورة خصوصيّة وتميّز، ففي إحدى الدورات التي حملت شعار «على أجسادنا» كانت الفعاليّة من «قاسيون» ردّاً على الهجمة الأميركيّة التي تسرعت بحمل قرارها في ضرب سورية عسكرياً، وكان هناك صرخة من الشباب السوري؛ ضدّ هذه النزعة اللا إنسانية، في حين كان الكرنفال في السنة الماضية؛ يحمل رغبة في شكر قوى الأمن الداخلي وشهداء الجيش العربي السوري، في حفل واحد ضمّ ١٠٠ عائلة شهيد، قمنا بتوجيه الشكر لهم، بحضور نخب سياسيّة وفنيّة، وفي الدورة الأولى من عبق الياسمين كان لدينا مشاركات عربيّة، حضرت معنا وشاركت بنشاطاتها في ملعب الجلاء وكانت من العراق، وفلسطين، وكلّ المحافظات السوريّة.

صعوبات بديلاً للدعم

وعن إقبال المؤسسات في الدورة الخامسة لتقديم عونها، والدفع بالخطوة نحو الأمام، وبين لغة الصعوبات والتشجيع يضيف «عامر أبو حامد»: «نحن كشباب نحبّ النشاط والإنجاز في العمل، لكننا لم نعتد العمل المؤسساتي الذي يتصف بالبيروقراطيّة، فكان هناك هدر للوقت لتأمين مستلزمات تخصّ الكرنفال، فلاحظنا في هذه الدورة أن ارتباط المؤسسة بالشخص قد تكرس بصورة سلبيّة أكثر، فالشخص إن كان نشيطاً تُدفع الأمور قُدماً، وإن كان غير ذلك فسيتسبب الأمر بالانتظار والعرقلة، فقد واجهنا صعوبات، لكننا نريد إتمام الخطوة، وأحببنا تقديم صوتنا كسوريين للخارج، فالهدف من الكرنفال الردّ على الإعلام المعادي والغربي، بأنّنا موجودون في البلاد، ونعشق ترابها، وسنتحدى كلّ من يقف في طريقنا، فنحن مع بقاء دولتنا مستقلة، ونتمنى من مؤسسات الدولة أن تكون أكثر تفهماً، وأكثر رغبة في تقديم المساعدة، وفي هذه المرحلة الحسّاسة يجب علينا أن نكون يداً واحدة لمواجهة إفراغ البلد من محتواها».

صورة سوريّة للخارج

يحاول القائمون على كرنفال «عبق الياسمين» تصدير النشاط لخارج حدود سورية، فهناك أصدقاء لفريق «نسور سورية التطوعي» في عدّة دول، كمصر، والمغرب، والعراق، وتونس، احتفلت بفاعليات الكرنفال من أراضيها، وكذلك الشباب السوريون الموجودون في ألمانيا، وكان التواصل عبر وسائل الميديا، وشبكات التواصل الاجتماعي، التي ستنقل الأحداث، وتتبادل النشاطات في اللحظة نفسها، بالإضافة إلى أن عدداً من الوسائل الإعلاميّة الغربية طلبت تقارير صحفيّة تعبّر عما يقوم به الكرنفال، والهدف من نشاطاته، ومنها وسائل إعلام بريطانيّة.

حضور مميز لأمّ الشهيد

التقينا أيضاً مجموعة «أمّ الشهيد» ورئيستها «جانسيت أباظة» التي تحدّثت عن الهدف من المشاركة في كرنفال «عبق الياسمين» ولاسيما أنّ مجموعة «أمّ الشهيد» ترعى شؤون عائلة الشهيد في كلّ مناحي حياتها وفي ذلك تقول: «شاركنا لأوّل مرّة في هذا الكرنفال، لكنّني تابعت دوراته السابقة، وهؤلاء الشباب أصبحت علاقتي معهم كما لو أنّنا أسرة واحدة، وقد شاركنا في بازار الكرنفال بوجود سيدات عملن على صناعة تدوير الأقمشة وبيعها، فالهدف هو تشجيع هؤلاء النسوة للعمل، وعدم الانكفاء على أنفسهن، رغبةً منّا في المقاومة، ولتكون عاملاً مساعداً لمؤسساتنا، وعموماً مشروعنا فيه مشاريع زراعيّة وصناعيّة، وبرنامجنا طويل، وهناك أمهات شهداء سينضممن لنا، فنحن نواة لهنّ، ونساؤنا لديهن رغبة في العيش، والمقاومة. ولكن لدي عتب على مؤسساتنا، وعلى الروتين الذي يرغموننا على العيش فيه، فنحن كجمعية أصبحنا معروفين في الوطن، فلا مساعدات قدّمت بل تأخيرات دائمة، ولا يوجد إلا القليل من الدعم، وهناك تكاليف كثيرة بذلناها من مالنا الخاصّ، فلا دعم من وزارة الثقافة بل فقط قدّمت لنا المكان، وأوجّه شكري لوزارة السياحة فقد قدمت ما أمكنها. وشكري للفنانين المشاركين معنا فهم رمز المقاومة، والصمود، وهذا يردف حبّنا للوطن الذي يعيش داخلنا، وعلينا أن نناشد بعضنا ونكون أقوى».

المقاومة مستمرة

منذ بداية الأزمة السوريّة وحتى اليوم كان عدد الدول التي حاربت بلدنا أكثر من مئة دولة، وعلى الرغم من ذلك كانت لغة الصمود هي الأقوى، واليوم فعاليّاتنا الوطنيّة تعبر عن هذه اللغة المنتصرة بطريقتها الخاصّة، وفريق «نسور سورية» وجمعية «أمّ الشهيد» لهما حضور لافت وخاصّ في كرنفال «عبق الياسمين» الخامس، ومن منبر جديد تتأكد اللغة الوطنية من قلعة دمشق هذه القلعة التي قاومت كلّ الغزاة عبر التاريخ، فمنها كان البازار الخيري بمشاركة نساء مقاومات ومشاركة خاصّة من وزارة البيئة أيضاً ونساء قدّمن منتجات من توالف البيئة، بالإضافة لمعرض صور فوتوغرافي للوحات فنيّة وصور لفنانين سوريين، وكذلك مجموعة من الأغاني قدّمها أجمل الأصوات السوريّة، بالإضافة لتكريمات وزعت على الجميع شكراً ودعماً لوجودهم ومحبتهم في المساهمة لتقديم الصورة الأجمل لوطننا الغالي.

سلبيات المؤسسة شكلت عائقاً في إنجاز الكرنفال